

الإحالة الضدّية في رسالة ابن زيدون الهزلية

Assignment antibody in Ibn Zaidoun's comedy letter

PhD. Safaa Hussain Lateef

م.د صفاء حسين لطيف^(١)

الملخص

هذا بحث علمي صرف تقوم فكرته على دراسة الإحالات الضدّية في رسالة ابن زيدون الهزلية، وهو إطلالة على ما وراء النص الهزلي لابن زيدون في رسالته الهزلية، فما لم يقله ابن زيدون في رسالته استشرقت الإحالات الضدّية التي يمكن النفوذ منها إلى صفات غريمه ابن عبدوس الذي سعى جاهداً لنيل ود حبيته ولأدة بنت المستكفي، متّخذاً حيثية من حيثيات المنهج اللساني الحديث المسمى بعلم اللغة النصي (نحو النص) وسيلة لدراسة نص ابن زيدون الثري.

Abstract

This scientific exchange research based on the idea of a study assignments antibody in a letter Ibn Zaidoun comics, a look at the behind the comic text of Ibn Zaidoun in his comics, what Ibn Zaidoun did not say in his letter A_i_rgueth antibody assignments that can influence them to recipes son Abdos rivals who sought hard to Dr. Neil sweetheart girl Almcetkvi birth, taking the aspect of the curriculum lingual talking labeled with the knowledge of the script language (some text) means to study the text of Ibn Zaidoun prose.

المقدمة

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على جزء خاص من إبداع الأديب البارع ابن زيدون في رسالته الهزلية؛ لبيان الإحالات الضدّية الموجودة فيها وإبرازها للقارئ بطريقة أدبية مميزة.

١ - كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء.

إذ تظهر الإحالات الضديّة المختلفة، والرائعة في رسالته بطريقةٍ مختلفةٍ عما عهدناه، فابن زيدون أديبٌ بارع، وخصمٌ محنك في ظل النزاع العشقي، فهو بعد وقوع المحاصمة بينه وبين ولّاده، ودخول الغريم ابن عبدوس ترفع بنفسه، وأدبه، فأخرج به لوحةً أدبيةً ناصعةً غداها بالمعارف المختلفة التي تشهد، وتؤكد ثقافته الواسعة، وسعة معرفته من خلال الإحالات الضديّة المتضمنة ثنايا الرسالة، وهي إشاراتٌ لما لم يقله ابن زيدون ترفعاً، وكرامةً لنفسه، وحفاظاً على معشوقته، وصورتها الجميلة، مع ضالّةٍ صورةٍ غريمه، وقلة شأنه.

تمهيد:

يتخذ علم اللغة النصي (نحو النص) من معايير ديوكراند وسيلةً للتحليل النصي وهذه المعايير هي {السبك، الحبك، الضديّة، المقبولية، الموقفية، الإعلامية، التناص} (٢)، ويختص السبك بالمستوى التركيبي (النحوي) والحبك بالمستوى الدلالي، وتعني المعايير الأخرى بالمستوى التداولي، ولما كانت الإحالة من أبرز عناصر السبك وجب بيان عناصره (آلياته) ومنها:

١- الربط:

وأشهر أدواته حروف العطف فضلاً عن تعابير أخر تسهم في عملية الربط مثل {على العكس، على الرغم، على نحو تال} (٣).
إن التفسيرية.
اللام: في نحو: ليفعل كذا.
كي: في نحو كي يفعل.
لكي وأدوات الشرط والاستدراك والإضراب (٤).

٢- الاستبدال:

من مقومات (عناصر) سبك النص، ويتم داخله، وهو التعبير عن معنى ما بلفظٍ وذكر المعنى مرةً ثانية بلفظٍ آخر فيحيل اللفظ الثاني إلى الأول تعويضاً واقتصاداً في اللغة لتقوية السبك وتجنب التكرار المخل مع غرس المعنى في ذاكرة القارئ (٥). وبه يتحقق التماسك الدلالي والسبك النحوي (٦).

٢- يُنظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١٢٨.

٣- يُنظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١١٠، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبوية إنموذجاً)، نادية رمضان، مجلة علوم اللغة، ٩٦، ع ٢، ٢٠٠٦م: ٢٣.

٤- يُنظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١١٠، ١٦٢، ١٦٥، يُنظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢٣، ولسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٣، ٢٤ والنص والخطاب والإجراء: ٣٤٦ وما بعدها، والسبك في العربية المعاصرة: ١٣٦، ومدخل إلى علم اللغة النص ومجالات تطبيقية: ٩٥، ونظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص الثري: ٩٥، الأدوات النحوية في كتب التفسير: ٤٨٧، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٦٦.

٥- يُنظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٩، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق: ١١٣، ١٢١، والسبك في العربية المعاصرة: ٩٦، ونحو النص بين الاصل والحدائثة: ١٣٠.

٦- يُنظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص): ١٣٢/١.

٣- الحذف:

ترتبط اللغة بالسياق الذي قد يكون مُغنياً عن ذكر كثير من العبارات والاستغناء عن عناصر لغوية يمكن محتواها المفهومي أن يقوم في الذهن فيفهمها المخاطب بقرائن لغوية أو سياقية ويكون في النصوص أكثر من الجمل^(٧).

٤- الإحالة:

وهي أولى عناصر السبك وبرزها فـ((العناصر اللغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتتوفر كل لغة على عناصر تمتلك خاصية الإحالة))^(٨)، وفيها يتم ارجاع عنصر إحالي إلى عنصر إشاري مذكور قبله (إحالة على السابق أو إحالة بالعودة أو إحالة بالكناية)^(٩) أو سيذكر لاحقاً (إحالة على عنصر بعدها (لاحق))^(١٠)، وبدلاً من ذكر العنصر الإشاري وتكراره ويحال إليه بالعنصر الإحالي فيغني عن ذكره مع الحفاظ على ابعاد المحال إليه ومواصفاته^(١١) فتسهم في ربط بنى النص وتشكيل وحدته وانتظامه^(١٢) وهي قسمان إحالة لما في داخل النص على السابق واللاحق وهي إحالة عناصر لغوية إلى عناصر لغوية أخرى واحالة لما في خارجه^(١٣)، وهي إحالة عناصر لغوية إلى عناصر اشارية غير لغوية مؤولة بوساطة المقام والايحاءات والسياق والاشارات الدالة عليها^(١٤) وفيها يتم الإحالة إلى شخص أو موقف أو حدث إجمالاً أو تفصيلاً^(١٥).

وسائل الإحالة:

- ١- الضمير يحقق النيابة (الكناية) ويمكن الحنفة والاختصار^(١٦).
- ٢- الإحالة الإشارية (أسماء الإشارة): تكون بديلاً عن لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة أو نص بكامله تسهم في سبك النص وانسجامة وتستعمل للإشارة إلى شيء موجود في النص^(١٧) أو خارجه.
- ٣- الإحالة الموصولية (الاسم الموصول): تكون بديلاً عن لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة أو نص بكامله.

٧- يُنظر: علم لغة النص والنظرية والتطبيق: ١١٥، ونحو النص بين الأصالة والحداثة: ١٣٠، والنص والخطاب والاجراء: ١٠٦، ونحو النص نقد نظرية وبناء أخرى: ١٦٧، وظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ٤، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (تطبيق على السور المكية): ٢٠٨/٢، والدلالة والنحو: ٢٥٣.

٨- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٦.

٩- يُنظر: الإحالة في نحو النص: ٤١.

١٠- نسيج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً): ١١٩.

١١- يُنظر: التوحيد الإبداعي في نحو النص قصيدة زحلة لأمير الشعراء إغوذجاً، محمد خليفة محمود، مجلة الدراسات العربية، ج ١٠، ع ١٩، ٢٠٠٩م: ٢٠.

١٢- يُنظر: نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية: ١٠٦.

١٣- يُنظر: نسيج النص (بحث نصي يكون به الملفوظ نصاً): ١١٨، والقرائن العلائقية وأثرها في الاتساق سورة الانعام إغوذجاً (دراسة وصفية إحصائية تحليلية) سليمان بوراس (رسالة ماجستير)، جامعة الحاج خضر، باتنة، الجزائر، ٢٠٠٩م: ١٨.

١٤- يُنظر: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: ١٠٥.

١٥- يُنظر: نسيج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً): ١١٩، الإحالة في نحو النص: ٤١.

١٦- يُنظر: البيان في روائع القرآن: ١٣٧/١، مقالات في اللغة والأدب: ١٩٥/١، ويُنظر: أنظمة الربط في العربية دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة والنظرية التوليدية التحولية: ٤٦.

١٧- يُنظر: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: ١٤٩، ١٥٠، ١٦٠، ونحو النص اطار نظري ودراسات تطبيقية: ١١٩، ١٢٠.

٤- الإحالة المقارنة: يحيل إلى عنصر داخل النص أو خارجه، وتعد المقارنة من عناصر الإحالة النحوية وتسهم في السبك^(١٨) وتقسم على عامة وخاصة، وتضم العامة: التتابع بألفاظ نحو: يطابق، والشيء نفسه وعينه، والتشابه بألفاظ نحو: مثل ومثيل ومماثل وشبيه ويشابه ويقارب، وتضم الخاصة ما يشير إلى كمية مثل: أكثر، بدرجة أكبر من، أقل، وما يشير إلى الكيفية نحو أجمل من^(١٩) والاحالة كالاستبدال تسهم في التماسك الدلالي والسبك النحوي.

ابن زيدون:

لقد أجمعت الروايات على نسب أبي الوليد أحمد بن عبدالله بن غالب بن زيدون المخزومي الاندلسي القرطبي^(٢٠) على كونه من بني مخزوم القبيلة المكية التي ترتبط بقريش بالقرابة، والأمر نفسه مع نسب أمه الذي تشير المصادر إلى أنها من قبيلة قيس عيلان.

وقد ساعد في تتبع نسب ابن زيدون مكانة العائلة التي ينتسب إليها وطبيعة الوظائف السياسية والدينية والفكرية والثقافية التي اضطلعت بها، وهو ما يجعل من إمكانية تتبع نسبها ممكناً. فأبوه من فقهاء المذهب المالكي الذي قال عنه القاضي عياض ((كان متفنناً في ضروب العلم جم الرواية والمعرفة، فصيحاً، جميل الأخلاق))^(٢١).

وهذا ما أكده ابن بشكوال بطريقة مماثلة ((كان من اهل النباهة والجلالة والمعرفة باللغة والادب))^(٢٢). وقد جمع ابن الأثير بين القولين ((كان متفنناً في ضروب العلم، جم الرواية من أصل النباهة والجلالة والمعرفة باللغة والآداب))^(٢٣).

وكل هذه الأخبار تدل على أن ابن زيدون لم يكن من العامة، بل كان من عليّة القوم وكبار الشخصيات في الأندلس.

ونحن لسنا بصدد التعريف الكامل بابن زيدون؛ لأن أغلب المصادر التاريخية تناولته تفصيلاً ويكفيها ما ذكر من باب رفق البحث بمنهجية مميزة.

عصره وحياته:

يمثل العصر الذي عاشه ابن زيدون أكثر العصور تدهوراً في تاريخ الدولة الإسلامية في الأندلس، بل يعد نقطة التحول الكبرى التي حدثت عندها المتغيرات السياسية والثورات والفتن، التي أدت إلى انهيار

١٨- يُنظر: تسبيح النص (بحث فيما يكون به المفلوظ نصاً): ١١٨، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبوية نموذجاً): ١٨.

١٩- يُنظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٩، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٢٤، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١٢٤، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١٢٤، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبوية نموذجاً): ١٧.

٢٠- يُنظر: قلائد العقبان: تحقيق: حسن يوسف خربوش، ط ١، ١٩٨٩: ٢٠٩/١، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام، تحقيق: د. احسان عباس، ط ١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩: ١٠١: ٣٣٦، والحلة السيرة لابن الأبار، تح: د. حسين مؤنس، ط ١، القاهرة، ١٩٦٣: ٩٩/٢ - ١٠٤، وابن زيدون، تحد رفعت عناية، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٣٩: ٨ - ٧٦، وابن زيدون (حياته، عصره، ادبه) حسن جاد حسن، المطبعة المنيرية، القاهرة، ١٩٥٩: ٢ - ١٥٥.

٢١- ابن زيدون ورسائله: علي عبدالعظيم، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٩٧: ٦٤. نقلا عن مخطوط ترتيب المدارك للقاضي عياض: ١٤٣/٢.

٢٢- الصلة لابن بشكوال: تح: إبراهيم الإيباري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩: ٢٥٤.

٢٣- التكملة لكتابي الموصول والصلة، ابن الأثير، تح: إبراهيم الإيباري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط ١، ١٩٨٩: ٤٤٥/٢.

الخلافة الاموية وتفتت الدولة إلى دويلات وطوائف، بعد أن شهدت أزهى عصورها عندما أعلنت قرطبة سنة (٣١٦ هـ) انتهاء عصر الامارة.

لقد كانت الاحداث التي مرت بها الدولة والخلافة الإسلامية ومدينة قرطبة التي أدت إلى تدهورها وتفككها تمثل جميعها حوادث وقعت في حياة ابن زيدون اذ عاش من (٣٩٤ هـ - ٤٦٣ هـ) (١٠٠٣ م - ١٠٧١ م) وهي مدة انمازت بتحويلات كبيرة سياسية واجتماعية واقتصادية، فكثرت فيها الحروب والفتن، ولم تجد لها متنفساً لإعادة تشكيل الدولة أو هيبته أو مكانتها الا نادراً أو لمدة قصيرة جداً لم تكن كافية.

وهذه الأحداث لم يكن ابن زيدون بمنأى عنها فقد أثرت تأثيراً مباشراً عليه كونه من أسرة عريقة لها من الوجاهة والمكانة السياسية والاجتماعية ما لها فكان من الطبيعي أن تتأثر هذه العائلة بهذه التغيرات. وبعد نشأته تولى منصب الوزارة لبني عباد^(٢٤)، وهو في سن الثامنة والعشرين أي سنة (٤٢٢ هـ)، وكان مسؤولاً عن النظر في شؤون أهل الدمة، وهي وزارة تمتلك أهميتها من طبيعة الظروف التي عاشتها قرطبة^(٢٥).

ويمثل الجزء المتعلق بولادة بنت المستكفي المنعطف المهم في حياة ابن زيدون لأن أغلب الاحداث البارزة في أدبه تمثلت بحبه لولادة والقطيعة التي وقعت بينهما:

والبحث بصدد جزء مهم في ادب ابن زيدون يتمثل برسالته الهزلية ضد غريمه ابن عبدوس الذي أراد نيل ود ولادة فكان هذا سبباً كافياً لولادة فكرة هذا البحث وتحديد الإحالات الضدّية في الرسالة الهزلية.

الرسالة الهزلية:

يتفق الجميع على أن هذه الرسالة كتبها ابن زيدون بعد أن وقعت القطيعة بينه وبين ولادة بنت المستكفي التي أحبها وعشقها، وبعد أن تدخل ابن عبدوس مستغلاً هذه القطيعة لينال ود ولادة، فما كان من ابن زيدون إلا أن ينظم رسالته الهزلية هذه منذراً غريمه بقوله:

| | |
|-------------------------|------------------------------------|
| أثرت هزير الشرى إذ ريبض | ونبهته إذ هداً فارتمض |
| حذار حذار فان الكريم | إذا سيم خسفاً أبي فامتعض |
| لعمرى لفوقت سهم النضال | وأرسلته لو أصبت الغرض |
| وغرك من عهد ولادة | سراب تراءى وبرق ومض |
| هي الما يعز على قابض | ويمنع زبدته من محض ^(٢٦) |

ومع اتساع المدة، واحتدام براكين المأساة، ضاق الشعر على استيعاب تفاصيل الحديث، فلجأ ابن زيدون إلى النثر، فكتب هذه الرسالة على لسان ولادة إلى ابن عبدوس، مستغلاً قضية استخدام الأخير لوسيلة تزيينه في عين ولادة، فجاءت الرسالة نفثة مصدور ومرآة مشاعر موتور، ومعرض لقدرات ابن

٢٤- الذخيرة: ق ١٠١: ٩٧ - ١٠٠.

٢٥- المصدر نفسه: ق ١٠١: ٣٧٧.

٢٦- ديوان ابن زيدون ورسائله، شرح وتحقيق، علي عبدالعظيم، ط ٣، الكويت، ٢٠٠٤: ٤٣٩، وينظر ايضاً: نفع الطيب للمقرى التلمساني، تحقيق: احسان عباس، مع ٥: ٢٠٩.

زيدون المبدع العبقرى أمام محبوبته الأدبية، وخصمه الأديب في تلك البيئة الأدبية فكانت ملبية لحاجتين هما:

- أ- التبرج بالقدرات الإبداعية في شكل الرسالة ومضمونها.
ب- التنفيس عن مكبوتات الغيرة والغضب بأسلوب الهزل والسخرية المحضة.
ومن هذا الطابع الأخير اتخذت الرسالة اسم الهزلية.

الإحالة الضديّة في الرسالة الهزلية:

هي إحالة لما في خارج النص وهي ذات منحى تداولي واضح؛ لأنها ترتبط ببيان القول أو المقام وبقضايا اجتماعية ومرجعية تاريخية وفكرية، وترتبط بالوعي الثقافي للمخاطب، وهذا هو المنحى التداولي وهي إحالة خفية تتعلق بالمعنى الخفي المتضاد مع المعنى الظاهر، وتجري على لسان البلغاء والعظماء تأديباً أو حياءً، متخذة التلميح والتلويح أسلوباً لها نحو قوله: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (مريم 30) فإقرار عيسى ابن مريم -عليه السلام- بالعبودية في اول قوله له فيه إحالة ضدية إلى أنكم ستقولون بالباطل إنني ابن الله أو إله، وهذا مما يحتمه السياق أو الموقف، فقد ولد من غير أب وهو صبي يتكلم، مما يدفعهم إلى القول إنه ابن الله أو الله نفسه، وقد فعلوا بدليل قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ...﴾ (المائدة 116) ومنه قول الإمام السجّاد -عليه السلام- في مجلس يزيد ((أنا ابن عديمت العيوب انا ابن نقيات الجيوب...))^(٢٧)

وهذا النص يحمل إحالة ضدية واضحة هي ما يقابله وهو يزيد الذي على العكس تماماً من هذه الصفات.

ومن هنا جاءت فكرة الإحالة الضديّة في رسالة ابن زيدون الهزلية، كونها في الدرجة الأساس كتبت بطابع السخرية؛ ولأن السخرية اذا كانت بطابع نثري تحتاج كماً هائلاً من المعارف لاسيما اذا كان ناظمها ابن زيدون الملم بالعلوم والمعارف؛ ولأن الإحالة تصدر على لسان البلغاء والعظماء تأديباً أو حياءً فقد كان ابن زيدون مدركاً لذلك جيداً في رسالته فأرسلها معيناً لا ينضب من الإحالات الضديّة الرائعة جاعلاً من غريمه معرضاً للسخرية وقلة الشأن.

وفي هذه اللحظة وأنا على عتبة الدخول إلى عالم الرسالة الداخلي استشعر مع ابن نباته رهبته حين طلب منه شرحها فصاح: ((ما أنا وصعود هذا الصرح، وولوج هذا الشرح، ومعارضة ذلك البز، ولست من ذلك الطرح))^(٢٨).

إلا في اللحظة نفسها أستشعر روح المغامرة والجرأة؛ لأن ما طلب من ابن نباته هو التوسع في شرحها وتفصيلها وبيان مدى روعتها وهذا مجال واسع وكبير، وعلى العكس منه فإن ما أطلب به نفسي هو اختزالها في مفصل واحد لبيانه وتوضيحه.

٢٧- وقعة الطف لأبي مخنف لوط بن يحيى أبو سعيد: تحقيق: الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، ط ١، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٣٦٧ هـ.
٢٨- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، لابن نباته، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٨٦: ١٤.

وهذا ما شجعتي لولوح هذا الصرح الأدبي الشامخ.

تبدأ الإحالة الضديّة المميّزة في هذه الرسالة من مقدمتها البتراء التي لم يتبدئ بها كاتبها بما تعارفت عليه رسائل تلك الحقبة الزمنية قافزاً بها على الأعراف والتقاليد وهي إحالة ضدية إلى أن شأن المقصود بهذه الرسالة لا تستحق أن تكون الرسالة على النمط المتعارف لان النمط الهازل ليس بذى بال حتى يُسَمَل قبله، أو لاحتقاره لشأن المكتوب له.

ثم تأتي فذائف ابن زيدون منهالة على غريمه ((أما بعد أيها المصاب بعقله، البين سقطه الفاحش غلظه...))^(٢٩) ثم ينتقل بنا ابن زيدون إلى الإحالة الضديّة المتجانسة والموصولة إلى نهاية الرسالة وضمن فقراتها المتعددة ومن ذلك قوله: ((ولا شك أنها قلتك إذ لم تضن بك، وملتك إذ لم تغر عليك فإنها أعذرت في السفارة لك، وما قصرت في النيابة عنك زاعمة أن المروءة لفظ أنت معناه، والإنسانية اسم أنت جسمه وهيؤلاه، قاطعة أنك انفردت بالجمال، واستأثرت بالكمال، واستعلت في مراتب الجلال، واستوليت على محاسن الخلال، حتى خلت أن يوسف -ﷺ-، حاسنك فغضضت منه، وأن امرأة العزيز رأتك فسلت عنه))^(٣٠)

وهذه الكلمات المتسقة والمتناسقة في رسم صورة ابن عبدوس ما هي إلا إحالة ضدية في بيان الصورة المثالية المزعومة له، فابن زيدون أراد ان يظهر العكس من ذلك، فإقحام ابن زيدون لصوت ابن عبدوس داخل صوت وسيطته ما هو الا تأكيداً لمزاعم تلك الصورة المزعومة لابن عبدوس، وما دامت هذه الصورة المثالية التي انبثت من تلك المقدمة الحاكمة بغروره وعماه، وتحكم في بنائها الزعم والتخييل، فمعنى ذلك أنها صورة هازلة تضم نقيض ما تظهر وهذه هي الإحالة الضديّة المقصودة.

ويُظهر لنا ابن زيدون اجادته في جعل احواله الضديّة ضمن إطار الصور الكاريكاتيرية المزعومة لابن عبدوس التي ظهرت على لسان ولادة، وأنه على العكس من ذلك تماماً مظهرة ان الإحالة الضديّة واضحة المعاني جليلة المظهر لما تريد فهو على العكس مما أوردته من صور تدل على حسنه وجمال مظهره اذ تقول ((وإن كنت قد بلغت قعر تابوتك، وتحافيت عن بعض قوتك وعطرت اردانك، وجررت هيمانك، واختلت في مشيتك، وحذفت فضول حيتك، وأصلحت شاربك، ومططت حاجبك، ورفعت خط عذارك، واستأنفت عقد إزارك...))^(٣١).

ان الإحالات الضديّة تخضع للسياق والموقف والمقام؛ لذا كان ابن زيدون في موقف ولادة يستبطن هذه الإحالات ولا يبيديها لكنه لما كان المقام والسياق يسمح له بإبدائها وإظهارها صرح بها معلناً ومخاطباً غريمه الذي أراد أن يأخذ مكانه في قلب معشوقته فاورد من الإحالات الضديّة على لسانها ما يجعل منه صغير الشأن أمامها.

ثم تأتي الضربة القاضية على يد ابن زيدون في مقارنة استطرادية قوية تحمل من الإحالة الضديّة المميّزة بإظهارها لعجز ابن عبدوس في جانبي العاطفة والقدرة الجنسية فيقول على لسان ولادة: ((وكم بين من

٢٩- سرح العيون: نص الرسالة من ص ٣ إلى ما بعدها وكل مقبس من الرسالة يرجع إلى المصدر نفسه والصفحات نفسها.

٣٠- المصدر نفسه.

٣١- سرح العيون: نص الرسالة الهزلية.

يتعمدني بالقوة الظاهرة، والشهوة الوافرة، والنفس المصروفة إليّ، واللذة الموفرة عليّ، وبين آخر قد نصب غديره، ونزحت بيده، وذهب نشاطه ولم يبق الآ...))^(٣٢) والإحالة الضدّية هنا هي طعن ابن عبدوس في رجولته إذ اجهز عليه ابن زيدون نمائياً في هذه الإحالة.

ثم تأتي الإحالة الضدّية بالتشبيهاً السيئة التي أوردها ابن زيدون لابن عبدوس على لسان ولادة أيضاً للتشفي فيه وتحميله النهاية البائسة التي آل إليها فيقول: ((لا تكن براقش الدالة على أهلها، وعنز السوء المستثيرة لحنفها، فما اراك الا سقط العناء بكلّ على سرحان...))^(٣٣). فالإحالة جاءت عن طريق الامثال التي أوردها ابن زيدون لبيان سلبية غريمه وسوء طالع الذي أورده المهالك فهو ك (براقش الدالة على أهلها).

ثم ينتقل بنا ابن زيدون في إحالة ضدية غاية في الروعة والأناقة لفظاً ومعنى من خلال الخارطة الفكرية الموسوعية له التي تمثلت بسعة معرفته بأمثال العرب وأسماء رجال التاريخ والوقائع الشهيرة التي أفاد منها في فتح المجال أمام إحالات ضدية فريدة من نوعها تتمثل في عقده لمقارنة بين غريمه والشخصيات التي يذكرها ليبين لنا ضالّه هذا الشخص المدعي والمنازع فيما ليس له ومثال ذلك قول ابن زيدون: ((وكليب بن ربيعة انما حمى المرعى بغرتك)) وهي إحالة ضدية واضحة إلى مدى جُبن غريمه وضعفه...^(٣٤)

وقوله أيضاً ((وان الصلح بين بكر وتغلب تمّ برسالتك، والحملات بين عبس وذبيان أسندت إلى كفالنتك))^(٣٥).

وهذه إحالة ضدية تشير إلى مدى سفاهة ابن عبدوس وفراغه من الحكمة. ثم يردفها بالإحالات الضدّية المتفرقة في العلوم المختلفة مبيناً لنا أمرين هما: الأول: سعة ثقافة ابن زيدون وإدراكه بالعلوم المختلفة وعلمائها.

الثاني: سفاهة ابن عبدوس ورسم صورته الساخرة التي منحته كل شيء ظاهراً ثم سلبته كل شيء من خلال الإحالات الضدّية لابن زيدون.

وربما يعترض معترض فيقول ان الإحالات الضدّية التي استنتجها من أقوال ابن زيدون هي نتاج ظن وترجح لا دليل عليه. ولي أن أقول إن ابن زيدون أشار بما لا يقبل الشك إلى هذه الإحالات الضدّية؛ لأن المقارنات التي عقدها لغريمه في حقول متنوعة من رسالته الهزلية هي إشارات واضحة وجلية لما لم يصرح به قولاً مباشراً وإنما إحالة إلى ضده ليجعل من غريمه مدعاة للسخرية.

الخاتمة

شكّلت الإحالات الضدّية في رسالة ابن زيدون الهزلية ثنائيات من المعاني الخفية تطلبها السياق والموقف الذي مرّ به ابن زيدون فاتخذ التلويح وابتعد عن التصريح في بيان المعاني التي أرادها، وهي معاني

٣٢- المصدر نفسه.

٣٣- المصدر نفسه.

٣٤- المصدر نفسه.

٣٥- سرح العيون: نص الرسالة الهزلية.

تُستنبط من القول وتفهم من بين طياته، وقد حاول ابن زيدون بالإشارة إلى هذه المعاني الخفية ثني غريمه ابن عبدوس عن مسعاه لنيل ود ولادة حتى لا ينال ما لا يحمد عقباه.

المصادر

❖ القرآن الكريم

- ١- ابن زيدون (حياته، عصره، أدبه) جسن جاد حسن، المطبعة المنبرية، القاهرة، ١٩٥٩.
- ٢- ابن زيدون، نهاد رفعت عناية، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٣٩م.
- ٣- الأدوات النحوية في كتب التفسير، محمود أحمد الصغير، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٩م.
- ٤- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص)، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
- ٥- البيان في وقائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، عالم الكتب القاهرة، مصر، ط٢، ٢٠٠٠م.
- ٦- التكملة لكتابي الموصول والصلة، ابن الأثير، تحقيق، إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط١، ١٩٨٩.
- ٧- التوحد الإبداعي في نحو النص قصيدة (زحلة) لأمير الشعراء نموذجاً: محمد خليفة محمود، مجلة الدراسات العربية، ٢٠٠٩م، ج١٠، ع١٩.
- ٨- الحلة السيرة لابن الأبار، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م.
- ٩- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسين بحيري، مكتبة الأدب، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- ١٠- الدلالة والنحو: صلاح الدين صالح حسنين، توزيع مكتبة الآداب، القاهرة، ط١.
- ١١- ديوان ابن زيدون ورسالته، علي عبد العظيم، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧.
- ١٢- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنترني، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، ط١، ١٩٧٩.
- ١٣- السبك في العربية المعاصرة بين المنطوق والمكتوب، محمد سالم أبو عفرة، مكتبة الأدب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
- ١٤- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباته المصري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٨٦.
- ١٥- الصلة لابن بشكوال، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩.
- ١٦- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حموده، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٩٨م.
- ١٧- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية) صبحي إبراهيم الفضي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

- ١٨- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق الخطابية النبوية إنموذجاً: نادية رمضان، مجلة علوم اللغة، مج ٩، ع ٢٤، ٢٠٠٦م.
- ١٩- علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، سعيد حسن بحيري: مؤسسة المختار، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤م.
- ٢٠- علم لغة النص النظرية والتطبيق: عزة شبل محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧م.
- ٢١- القرائن العلائقية وأثرها في السياق سورة الانعام إنموذجاً، دراسة وصفية إحصائية تحليلية، سليمان بوراس، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج خضر، باتنة، ٢٠٠٩م.
- ٢٢- قلائد العقيان وأنباء الزمان لابن خلكان، تحقيق، حسين يوسف خربوش، ط ١، ١٩٨٩.
- ٢٣- لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمد خطابي، لوكز الثقافي العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩١م.
- ٢٤- مدخل إلى علم لغة النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٨م.
- ٢٥- مقالات في اللغة والادب، تمام حسان، عالم الكتب، مصر، ط ١، ٢٠٠٦م.
- ٢٦- نحو النص (نقد نظرية وبناء أخرى): عمر أبو خرمة، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط ١، ٢٠٠٤م.
- ٢٧- نحو النص بين الأصالة والحداثة، أحمد محمد عبد الراضي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨م.
- ٢٨- نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً: لأزهر الزناد، لوكز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٣م.
- ٢٩- النص والخطاب والإجراء: بيروت دي بوكراوند، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ١٩٩٨م.
- ٣٠- نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص الثري: حسام أحمد فرج، مكتبة الأدب، ط ١، ٢٠٠٧م.
- ٣١- نفع الطيب للمقري التلمساني، تحقيق: د. إحسان عباس.
- ٣٢- وقعة الطف لأبي مخنف لوط بن يحيى أبو سعيد، تحقيق: الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، قم، ١٣٦٧.